

مَسَائِدُ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

﴿ أَلْفَ أَصْلٍ ﴾

« الامامُ الحُجِّي السُّنَّةُ ، وَجُدَّ شَبَابُهَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »

المُصَنِّفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

« وَتَوَسَّعَ فِيهَا عَلَى هَذَا الْوَضْعِ »

« عَلَامَةُ الْعِرَاقِ »

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَكْرِ بْنِ الْإِلَاسِي

القاهرة - ١٣٤٨

عُنِيََتْ بِالنَّشْرِ

المُطْبَعَةُ السِّيَافِيَّةُ - وَمَكَانُهَا
مُضَابَنَاتُهَا : مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْمَنَاقِبِ

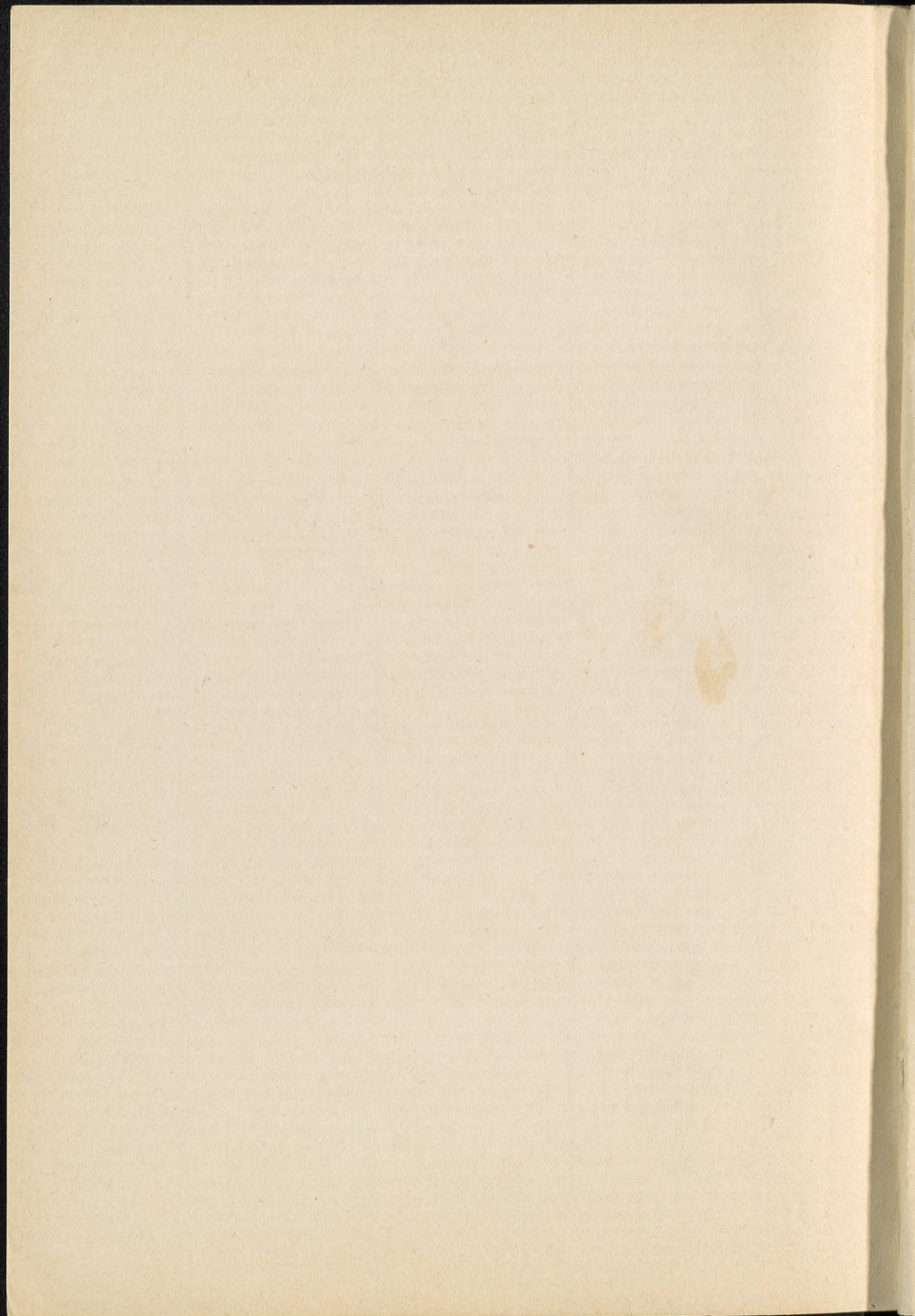
Columbia University
in the City of New York

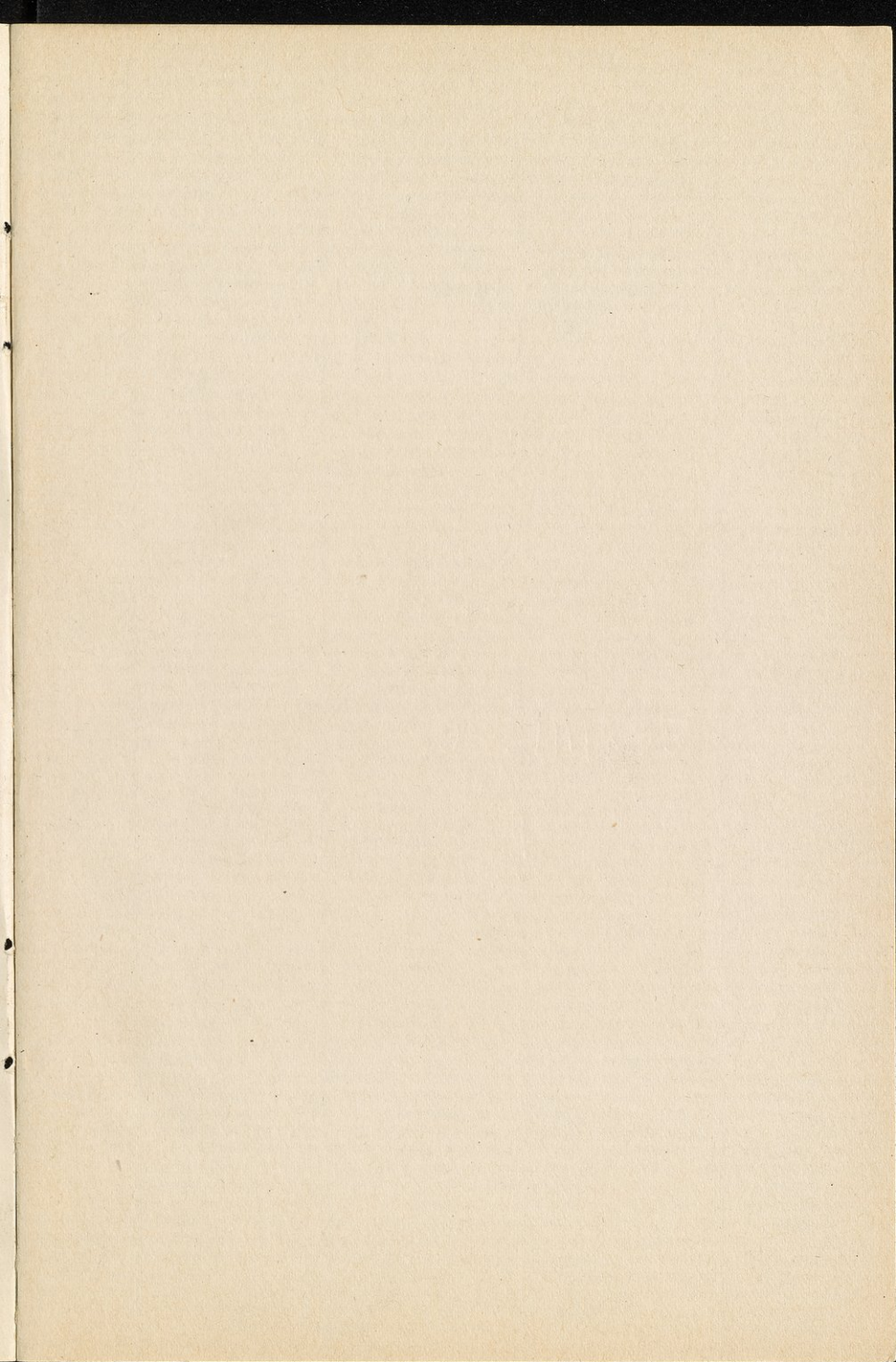
LIBRARY



Bought from the
Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

JUL 31 1930





مَسْنَدُ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

7684

« أَلْفَ أَصْلَها »

« الامامُ مُحيي السُّنَّةِ ، وَمُجَدِّدُ شَبَابِها فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »

السَّيِّخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

« وَتَوَسَّعَ فِيها عَلَى هَذَا الْوَضْعِ »

« عَلاَمَةُ الْعِرَاقِ »

السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَكْرٍ الْإِلَوِيُّ

القاهرة

١٣٤٧

= 1928

عُنِيَ بِنَشْرِ

الْمُطْبَعَةِ السَّلَفِيَّةِ - وَمَكَانَتِهَا

لصاحبها : محب الدِّينِ الطَّيْبِ وَعَبْدُ الْفَتَّاحِ مُنْذُون

Muhammad ibn Abd al-Wahhāb
Masā'il al-jahiliyyah ... Crh

30-62317

893.7M895

T

حقوق الطبع محفوظة للمطبعة السلفية ومكتبتها

الى ذى النورينه

سيِّد صاحب الدعوة الى التوحيد محمد بن عبد الوهاب

وحفيد مؤيدها ونشرها آل سعود الكرام

﴿ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ﴾

ابن صاحب الجلالة ملك العرب ، وباسط جناحي الأمن والعدل

في الحرمين الشريفين

﴿ الامام عبد العزيز آل سعود ﴾

أهدي هذا الكتاب

محِب الدين الخطيب

مُقَدِّمَةُ النَّاسِرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد وآله رافع لواء الهدى في العالمين

وبعدُ فإن الخلفاء الراشدين ورجال الدولة في زمن بنى أمية كانوا يمهّدون بلواء الاسلام الى السواحل العربية تخوض به الآفاق شرقاً وغرباً ، والى الاسنة العربية تدعو اليه باديةً وحاضرةً ؛ فكانت الدولة على اتصال بجزيرة العرب تُعَدِّي الجيش من فتيانها ، وتُعْنِي بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم ، وتوسّد الامور في الاقطار الى النوايا من عُقلائهم وحكّامهم ؛ فكان الاسلامُ غَضّاً في جزيرة العرب ، وهدايةً معمولاً بها تحت الخيمة وفي بيت الشعر وبين جذوع النخيل . فما برح الاسلامُ بذلك منصوراً ، وممالكة بازدياد ، والناسُ يَدْخُلون في دين الله شعوباً وأتماً ؛ الى أن استدار الزمانُ مرّةً أخرى فجرب الخلفاء من بني العباس الاعتماد على أهل السياسة والحمة الدنيوية من الفرّس في إقامة دَعائم مُلكهم . ولم يكن أهلُ السياسة والدنيا منهم كما

كان أهلُ التقوى والدين ، فأبدتِ المجوسيةُ نواجذَها . ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظَلَّتْ على ذلك الى زمن أمير المؤمنين المعتصم ، فأخذ دَفَّةَ السفينة من أيدي الفُرْسِ وأسلمها الى أيدي غلمانهِ من الترك ، فنهض من شرٍّ واحد ووقع في شرِّين : لان للفرس سابقةً وحضارة ليس لهؤلاء مثلها . وفي هذه الحادثة يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« خليفة عباسي أراد ان يصنع لنفسه ولخلفه ، وئس ماصنع بامته ودينه . اكثر من ذلك الجند الاجنبي ، واقام عليه الرؤساء منه . فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام ، والقلب الذي هذب الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون الوية الظلم ، لبسوا الاسلام على ابدانهم ، ولم ينفذ شئ منه الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه يعبده في خلوته ويصلي مع الجماعات لتسكين سلطته ... »

منذ تلك الازمان وجزيرة العرب مُهملة : لا تُعِينُها الدولة ولا تستعين بها . وكانت نتيجة ذلك أن « الجاهلية » عادت الى جزيرة العرب واستقرت فيها قروناً طويلة ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجلٌ عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضوماً فيهم ، وأغني به الرجل المصلح ، داعي العرب والمسلمين للرجوع الى فطرة الاسلام الاولى ، شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب . هذا الرجل

نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء :
 العصبية الجاهلية كآتي نهى عنها هادي البشر ﷺ
 ﷺ ، ودُعاه غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته ،
 والاحتمال بمختلف الاسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي
 كان قبل بعثه ﷺ . ثم التقاطع ، التفرق ، التواصي بالباطل
 دون الحق ، الاعتداء على حق الغير ، العطالة ، الكسل ،
 الخرافات والأوهام ، الضغينة ، الفوضى ، القذارة ، المسكر ،
 الخداع ، عدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده .
 هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه
 وفي بلاده ، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الانسانية
 من هذه الشوائب ، فقال في نفسه :

— إذن نحن في مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية !

حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض
 وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله
 قلتُ انه كان رجلاً عظيماً ، لانه ثبت في جهاده الى أن
 لقي ربه ، فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته
 من أخلاق الجاهلية وأطوارها الى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة
 اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهده
 في مصر والشام والعراق من فضائح ، ويحجّون بقلوب لا ممتسّعة

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : انهم يتعبدون باشرارك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زُلْفَى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون » وقال تعالى « وعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد خرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرق ﴾

﴿ الثانية ﴾ : انهم متفريقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة الى أن ألف سبحانه بينهم بالاسلام فزال الاحقاد قاله ابن اسحاق وكان يوم بعث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فصل ذلك في السكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة الناصية على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة ولي الامر ﴾

﴿ الثالثة ﴾ : ان مخالفة ولي الامر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله ديناً . فخالفهم النبي ﷺ في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه عليه السلام « يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلی الله علیه وسلم قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي امية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلی الله علیه وسلم . قال : دعانا النبي صلی الله علیه وسلم فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منسظنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية

﴿ التقليد ﴾

﴿ الرابعة ﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف » وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير
 الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ،
 قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم
 به كافرون » فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف » اتبعوا
 ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون »
 وقال تعالى » واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا
 عليه آباءنا أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » الى
 غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد
 لا يحكمون لهم رأيا ولا يشغلون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة
 وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم
 فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله » يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً
 من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن
 سبيل الله » وقال تعالى » قل يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم غير
 الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا
 عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفساق
 وأهل الضلالة والغبي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفتري وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره أفلا تتقون فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لا أنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا

لشيء. يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق
فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم. فانظر الى سوء مداركهم
وجود قرائحهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون
بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا
أخلافهم ووراثتهم قد تشابهت قلوبهم

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد
الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فانزل الله تعالى
ضد ذلك وما يبطله فقال في الانعام « وان تطع أكثر من في
الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
قال الكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان
له بصيرة وقلب فالحق أحق بأحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال
تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من
الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة
لا تنضم

فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كَفَنُهُ يحمله مع سلاحه
إذا ناداه الامام للجهاد

ان تحويل هذه الامة مما كانت عليه الى ما صارت اليه
ليس من الامور الهيئنة ، وأنا كلما تصوَّرتُ في ذهني عَظَمَةَ
مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل في نظري كثير من
الشخصيات التي انا مُعْجَبٌ بها ، فأنظر اليه بعين الاكبار
والاحلال

نعم ، ان في نجدٍ جهوداً وشِدَّةً ، لكنهما ناشتان عن عزلة
النجديين في بلاد مُنزَوِيَةٍ عن مَمَرِ الامم ، وأنا على يقين بأن
اتِّصالَ نجد بالحجاز ، واتصال النجديين والحجازيين بحجَّاج
الاقطار ، وازدياد عدد الحجيج باستياب الامن ورسوخه ،
سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الاسلامي جميعا



وبعدُ فان هذه الرسالة احدى نظرات محمد بن عبد الوهاب
الى المرض العام الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين
بأعراضه . والظاهر أنه جعلها رموس أقلام ليتوسَّع فيها يوماً ما ،
فلم يتيسَّر ذلك له . وقد طُبعت في الهند على اختصارها الذي
جعلها بمقام فهرس للمسائل المائة التي خالف فيها رسولُ

الله ﷻ أهل الجاهلية من الاميين والكتابين . ولما رأى علامةُ
العراق السيد محمود سُكْرَى اللوسى (رحمه الله) اختصارها ،
وأدرك أنها ليست تأليفاً ولكنها مذكّرةٌ لتأليف عمده الى
شرحها . ولا أعني شرحَ ألفاظها بل شرحَ معانيها ، أي أنه أتم
العمل الذي كان يريد المصلحُ النجديُّ العظيمُ أن يُتِمَّهُ

ولما كان كتاب السيد محمود سُكْرَى اللوسى لا يزال
مخطوطاً ويُخشى أن يحتاجه الجوائح ، فقد رأى صديقي أديبُ
العراق السيد محمد بهجة الأثرى - وهو خير من أنجبهم العلامة
اللوسى - أن يجعل هذا الكتاب هديّةً الىَّ عند زيارته القاهرة
في شهر صفر سنة ١٣٤٧ ، ورأيتُ من قدر هذه الهدية عندي
أن أبادر الى طبعها ووضعها بين أيدي الناصِ تعميماً لفائدتها ، وأن
أجعلها هدية المكتبة السلفية الى سيد شباب هذه الدعوة الامير
فبصل السمرود لانه كما ورث مُحامّتها بآبائه ورث صاحبَ الدعوة
نفسه من طرف أمّه ، فلم أجد أحداً أولى بها منه . والله ولي التوفيق

القاهرة : ١٢ ربيع الاول ، ١٣٤٧

محبّ الدّيمه الطّيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنسأل عن المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري الألويسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أي قد وقفت على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من الاميين والكتابين ، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنة ، ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي تغمد الله تعالى برحمته . فرأيتها في غاية الإيجاز ، بل كادت تعد من قبيل الاغزاز . قد عبر عن كثير منها بعبارة مجمل ، وآتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة . حتى إن من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب ، قد عدت فيه المسائل من

غير فصول ولا أبواب ، ولا شتمها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحببت أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل . مقتصر آ فيه على أوضح الأقوال ومبيناً ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهدي به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للثواب ، والفوز يوم العرض والحساب ، والأمن من أليم العذاب ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المصنف رحمة الله تعالى عليه :

هذه مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدّه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فان انضاف الى ذلك استحسان دين الجاهلية والايان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

نُعَيِّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلٌ^(١)
فالمقصود أن من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ ما يستنتجه
البرهان وإن قلَّ العارفون به المتقادون له ومن أخذ ما عليه الأَكْثَرُ
وما ألفتَه العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية
مقدوح عند أهل البصائر

﴿الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً﴾

﴿الثامنة﴾: الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فردَّ
الله تعالى ذلك بقوله في هود «فلولا كان من القرون من قبلكم
أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» ومعنى الآية
«فلولا كان» تخضيض فيه معنى التفجع، أي فهلا كان «من
القرون» أي الأقوام المقتربة في زمان واحد «من قبلكم أولو بقية»
أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون
البقية اسماً للفضل والهاء^(٢) للنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم
أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ،
«ينهون عن الفساد في الأرض» الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في
قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي ، «الا
قليلا ممن أنجينا منهم» استثناء منقطع أي ولما كان قليلا منهم أنجينا

(١) للسؤال (٢) أي هاء التانيث في «بقية»

لكونهم كانوا يبنون

﴿ اخذاع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم

أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « ولقد مكناهم » أي قوينا عاداً وأقدرناهم .

و« ما » في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و« ان » نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى « ألم يروا كم أهلكننا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم » ولم يكن النفي بلفظ « ما » كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا

لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على
شئون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى
عنهم سمعهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ،
« ولا أبصارهم » حيث لم يحتلوا بها الآيات التكوينية المرسومة في
صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله
تعالى « من شيء » أي شيئاً من الأشياء ومن مزيدة للتوكيد وقوله
« إذ كانوا يجحدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحق بهم ما كانوا
به يستهزؤن » من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء
ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية
تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك
وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال . ألا ترى أن
قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال
والإبدان والادراك وسعة الأذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله
للعرب الذين أدركوهم بالأسلام ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل
وكذبوا الرسل بالباطيل فالتفريق بالإيمان بالله ورسوله والأذعان
للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى لا لكثرة مال ولا
لحسن حال ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالا منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدليل فقد سلك سبيل الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلنعتن الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي الموعد ارساله حتى نتصبر على الاعداء فلما جاءهم ما عرفوا وهو محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم بزعمهم أحسن أثاثاً ورثياً ولم يعلموا أن النبوة والايمان بها فضل من الله يؤتيه من يشاء . ومثلها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » الضمير في قوله يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم جريهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد ان فضل الله مقصور عليهم لا يعمدهم الى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ أننكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله واحد وانتى بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»

﴿ انخداع أهل الثروة بثروتهم ﴾

﴿ العاشرة ﴾ : الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعدئين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسعون في آياتنا مُعَاجِزِينَ أولئك في العذاب محضرون . قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخلّفه وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولأن تصديقهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت

إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من
 عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من
 قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . قل فأتوا بكتاب
 من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا
 لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
 من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين « وفي آية أخرى في سورة
 القصص يقول الله سبحانه « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم
 وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال
 له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار
 الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك
 ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته
 على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو
 أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » إلى آخر
 الآية فقد كفانا الله تعالى إبطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية
 الأولى « قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الأخرى
 بقوله « أولم يعلم أن الله » الخ فعلنا من ذلك إن محبة الله ورضاء
 الله إنما تكون بطاعته والانقياد لرسوله والاذعان للحق باتباع البرهان .
 وأما كثرة المال وسعة الرزق وعيش الرخاء فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل ^(١) :
 كم عالم عالم أعت مذهبهم وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ^(٢)
 ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللإعداء مال
 فان المال يفتى عن قريب وان العلم باقٍ لا يزال
 والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من
 كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله
 عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة
 أن يعول عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ
 الضعفاء به وضمف فهم من أخذ به على ما يدل عليه قول قوم نوح له
 كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى في سورة الشعراء « كذب
 قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الروندي الملحق

(٢) وبعده : هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا

رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن اجريَ الا على رب العالمين : فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . ان أنا الا نذير مبين » فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له وذلك لسكون مطمح أنظارهم الدنيا والآل لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق اينما وجدوه ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلاً على الحق فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك اشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفائهم ؟ فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » الآيات

﴿ وصم انصار الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الاخلاص وطلب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح في الآية الاولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك واتبعتك الأرذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقراء آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدليل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبر عن نصرة الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية . الاعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة الانعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن من هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كإزعم خصومهم ولست أنت بمسئول عنهم ولا هم مسئولين عن حسابك ، فطردوهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿استدلّاهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً﴾
 ﴿الرابعة عشرة﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم
 أولى به لو كان حقاً . قال تعالى في سورة الاحقاف « وقال الذين
 كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به
 فسيقولون هذا فك قديم » بعد قوله « قل أرايتم ان كان من عند
 الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن
 واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

﴿جهلهم بالجامع والفارق﴾

﴿الخامسة عشرة﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار
 القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى في سورة
 المؤمنين « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
 آبائنا الاولين . ان هو الا رجل به جنة قتر بصوا به حتى حين »
 وقبل الآية « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه » شروع في بيان اهمال
 الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد سبحانه وتعالى من النعم
 قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفي ذلك تخويف لقريش ،
 وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه .
 فقال متعطفاً عليهم ومستميلاً لهم الى الحق « يا قوم اعبدوا الله » أي

اعبدوه وحده «مالك من إله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة
 المأمور بها «أفلا تتقون» الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والغاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المقام أي أنعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى
 «ما لكم من إله غيره» فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه
 ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده واشرككم به عز وجل
 في العبادة مالا يستحق الوجود - لولا إيجاد الله إياه - فضلا عن
 استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجب «فقال الملائكة
 أي الاشراف» الذين كفروا من قومه «وصف الملائكة بالكفر مع
 اشراك الكل فيه الايذان بكمال عراقتهم وشدة شكيمتهم فيه
 وليس المراد من ذلك الا ذمهم دون التميز عن اشراف آخرين
 آمنوا به عليه السلام أولم يؤمن به أحد من اشرافهم كما يفصح عنه
 قوله «ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا» وهذا القول صدر
 منهم لعوامهم «ما هذا الا بشر مثلكم» أي في الجنس والوصف من
 غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مباغلة في وضع
 رتبة العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى
 «يريد أن يتفضل عليكم» اغضاباً للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء
 لهم على معاداته . والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم .
 «ولو شاء الله لانزل ملائكة» بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق
 على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أي ولو شاء الله
 تعالى إرسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
 لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا
 في آياتنا الاولين» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة
 الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا
 بمثل هذا الكلام في آياتنا الماضين قبل بعثته عليه السلام . وقدر
 المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان
 السماع لمثله كان في القبول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا
 رجل به جنون أو جن يخجلونه ولذلك يقول ما يقول «فتربصوا به
 حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا له ليفيق مما هو فيه
 محمول على مراحي أحوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
 وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه بما
 ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح اناس عقلا وأرزنهم قولاً
 وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله تعالى أتى
 يؤفكون . والقياس الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في
 كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابة من

جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ». وبين الرسل والأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالته وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضوع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاقد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ الغلو في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : الغلو في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخذ أحبار الناس أرباباً يحللون ويحرمون ويتصرفون

في الكون وينادون في دفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ،
ثم سرى الى غيرهم من جاهليه العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق
الارض ومغاربها تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتتبعن سنن من كان
قبلكم » الحديث . حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله
وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تأثرين في أودية الضلال
معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين
والاسلام في بلاء مبین . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
قال تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غُلْفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً
ما يؤمنون » وفي سورة النساء « فما تقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات
الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » . الغلف جمع أغلف كاحمر وحمر ،
وهو الذي لا يفقه . وأصله ذو القلفة الذي لم يفتح أو جمع غلاف
ويجمع على غلف بضمهين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغشاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ما جئت به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا
 في أكنة مما يدعوننا اليه . قصدوا به اقنط النبي ﷺ عن الاجابة
 وقطع طمعه عنهم بالكلمة . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم
 من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة
 كذلك . وعلى الثاني أنها أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً
 لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدي : أو مملوءة علماً فلا تسمع
 بعد شيئاً فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال :
 أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الامي . ولا يخفى بعده .
 وقال تعالى في سورة هود « ويا قوم لا يجزمنكم شقاقي أن يصيبكم
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم
 يبعد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود . قالوا
 يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك
 لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى .
 وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن
 السبب في عدم الفهم انما هو الطبع على القلوب بكفرهم لا القصور
 في البيان والتفهم . وما أحسن قول القائل (١) :

(١) هو ابو العلاء المعري

والنجمُ تستصغرُ الابصارُ صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » . ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه إيماء الى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم وأما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام . واذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما أنزل عليهم كما هو دينهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها « مصداقاً لما معهم » لان كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالتصديق لازم لا ينتقل وقد قررت مضمون الخبر لأنها كالاتدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم : نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيماً لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة وهي لا تسوغه

﴿ التمسك بخرافات السحر ﴾

﴿ التامعة عشرة ﴾ : من خصلهم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكيين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب الى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في الزيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألقاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لا تصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقهم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وفي مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينسبون الى ابراهيم عليه السلام والى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب الى غيره

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم تراه يصرف النصوص ويأولها الى ما يشتهي من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا اناني وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاعبوا به من الاحكام وصرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لاساحل له . وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور ، وقد بين حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ الثالثة والعشرون ﴾ : وهي من أعجب المسائل والحاصل معاداة الدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكمل الموالات ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : انهم لما افترقوا وكل طائفة لا تقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء »

وقالت النصرارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون « ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما أرباب المذاهب يرى كل أهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذلك والحزم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق الحري ان يلتقي بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته ﴿ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها ﴾

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله عليه السلام في حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست النصرارى على شيء وقالت النصرارى ليست اليهود على شيء » مع أن النبي صلوات الله عليه وآله بين في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال. ورد الله تعالى عليهم بقوله « وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصرارى

تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه حيث استدل به الرافضي على حقيقة مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة ، فراجع ان اردته

﴿ أنكار ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : انهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتعبدوا بانكاره والبراءة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » الى أن قال « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوبُ يابني ان الله اصطفى لسمك الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون »

يقال ان سبب نزول قوله « ومن يرغب » الخ ما روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سمة ومهاجر الى الاسلام فقال : قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة « اتي باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فن آمن به ففقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به

فهو ملعون « فأسلم سلمة وأبو مهاجر فنزلت . انتهى

﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال تعالى في سورة الاعراف « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ » قال بعض المفسرين : الفاحشة هنا الفعلة القبيحة المتناهية في القبح ، والتاء اما لأنها مجرأة على الموصوف المؤنث أي فعلة فاحشة ، واما للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك . وعن الفراء تخصيصها بكشف العورة وفي الآية حذف أي : واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والاقتراء على الله . وكان من سنة الخُمس انهم لا يخرجون أيام الموسم الى عرفات ، انما يقفون بالمزدلفة . وكانوا لا يسألون ولا يأفطون ولا يرتبطون عتراً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتبون بالقباب الحمر في الاشهر الحرم ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا الحرم وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت
عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت
تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير . قالت امرأة ^(١) وهي
تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادٍ ظله كأن حُجِّي خير تملّه

وكفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من
عرفة إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن
به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم
عليه السلام وما ذلك إلا لجاهليتهم

وغالب من ينتمي إلى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم
يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة
يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على
القبور والسفر إليها والنذور أخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم
من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد
وطريق العباد ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية والغور بهذه
الدنيا الدنية ، إلى غير ذلك مما يطول ولا يعلم ماذا يقول

إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة

﴿التعبد بتحريم الحلال﴾

﴿الثامنة والعشرون﴾ : التعبد بتحريم الحلال فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المفسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والانتم والبغى والبغى بغير الحق وان تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ومعنى الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة : وسبب النزول انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحجر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية « وكلاوا واشربوا »

قال السكبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا . « ولا تسرفوا » بتحريم
الخلال كما هو المناسب لسبب النزول ، « انه لا يحب المسرفين » بل
يبغضهم ولا يرضى أفعالهم . « قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلق له لنفعهم من الثياب
كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف « والطيبات من الرزق »
أي المستلذات ، وقيل المحللات من المأكول والمشرب كلهم الشاة
وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم
بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والسكفرة وان شاركهم
فيها فبالتبع فلا اشكال في الاختصاص « خالصة يوم القيامة » أي
لا يشاركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »
أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لمن يعلم مافي
تضامينها من المعاني الرائقة . « قل انما حرم ربى الفواحش » أي
ما تزايد قبحة من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، « ما ظهر منها
وما بطن » بدل من الفواحش ، أي جهرها وسرها ، وعن البعض
« ما ظهر » الزنا علانية « وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الاول
ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقاً . وعن مجاهد « ما ظهر » التعري في
الطواف « وما بطن » الزنا . والبعض يقول : الاول طواف الرجال
بالتهار والثاني طواف النساء بالليل عاريات . « والائمه » أي ما يوجب
الائمه وأصله الذم ثم أطلق على ما يوجب من مطلق الذنب ، وذكر

للتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم
من قال : ان الائم هو الحر وعليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول
الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن نقرب الزنا
وأن نشرب الائم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر :

شربت الائم حتى ضل عقلي
كذلك الائم يذهب بالعقول

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد
بالذكر بناء على التعميم فيما قبله أو دخوله في الفواحش المبالغة في
الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على
الله ما لا تعلمون» بالاحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم: والله
أمرنا بها . ولا يخفى أن متصوفا زماننا على هذه الخصلة الجاهلية
فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس
صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في
المأكل والملبس وسائر شؤونهم وما دروا أنهم بذلك من القوم الذين
ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿الاحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته﴾

﴿التاسعة والعشرون﴾ : الاحاد في أسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تسمية المؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع الخائين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق بشأنه أثر بيان غفلتهم التامة وضلاتهم الطامة « فادعوه بها » إيمان الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعوته زيدا أو يزيد أي سميته ، أو الدعاء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيدا أي ناديته ، « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر ليكون في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه . والاحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضرار بان يقال يلحدون بها . وقال تعالى « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لعلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
 متاب » وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج
 ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح
 يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم
 فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلة ، ومنهم من قال
 سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا الرحمن فقال : ان محمداً
 ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت . وعن بعضهم أنه
 لما قيل لكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت .
 وقيل غير ذلك مما يطول . وقال تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم
 علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلة لكم أول مرة
 واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
 ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم
 الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة
 حم السجدة . وفي هذه الآية اخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون
 في صفاته كما كانوا يلحدون في اسمائه تعالى . أخرج أحمد والبخاري
 ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود^(١) قال : كنت

(١) في الاصل « أبي مسعود » وهو خطأ صححه من فتح الباري (٨ : ٣٩٧)

وتيسير الوصول (١ : ١٧٤ سلفية)

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفني
 وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل عفة قلوبهم فتكلموا بكلام لم
 أسمعه . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر
 إنا اذا رفعنا أصواتنا يسمعه واذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر :
 إن سمع منه شيئاً سمعه كله . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأُنزل
 الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
 جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — الى قوله —
 من الخاسرين » . فهذا هو الالحاد في الصفات . وأنت تعلم أن
 ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الالحاد في الاسماء والصفات
 فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها
 من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من
 قال صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قال ان صفاته
 غيره ، ومنهم من قال ان الله لم يتكلم بالكتب التي أنزلها وأثبتوا له
 الكلام النفسي وانه لم يكلم أحداً من رسله ، الى غير ذلك من
 الالحاد الذي حشوا به كتبهم وملاوها من هذا الهذيان وظنوا أن
 الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها
 ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب
 هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على
 نصوص الكتاب والسنة

﴿نسبة النقائص الى الله سبحانه﴾

﴿الثلاثون﴾ : نسبة النقائص اليه سبحانه كالولد والحاجة فان
 النصراني قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة
 بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول ، وقوم من اليهود
 قالوا العزيز ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك
 ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكهم يقولون ولد
 الله وانهم لسكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
 وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
 السماوات والأرض أتى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخالق كل
 شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي
 تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد
 يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت
 اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم
 بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملاق
 السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير » قال السدي : قالوا ان
 الله تعالى أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فأدخلكم
 النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل مختون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى
« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » وقال « وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الذل » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً
ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وقالوا
اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني آله من
دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه
وتعالى « وقال الله لا تتخذوا الآلهين اثنيين انما هو آله واحد فاي اي
قارهبون وله ما في السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله
« ويجعلون لهما لايعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله الها
آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من
الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا في هذا
القرآن ليزكروا وما يزيدهم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما
يقولون اذاً لا بتغوا الى ذي العرش سبيلاً » وقال « فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من افكهم ليقولون وكلد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
 البنين ما لكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبین
 فاتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد
 علمت الجنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون الا عباد الله
 المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالح
 الجحيم » وقال « أفرأيتم الآلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
 ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء
 سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون
 الا الظن وما تهوى الانفس واقد جاءهم من ربهم الهدى - الى
 قوله - ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية
 الانثى » وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض
 المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله
 نصيبا من الولد . وعن قتادة ومقاتل عدلا ، وكلا القولين صحيح
 فانهم يجعلون له ولداً والولد يشبه أباه ، ولهذا قال « واذا بشر
 أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال
 في الآية الأخرى « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا
 وهو كظيم » فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً
 فان الولد جزء من الوالد قال صلوات الله عليه « انما فاطمة بضعة مني » وقوله :
 « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم « قال السكبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان
فالله خالق النور والناس والدواب ، وابليس خالق الظلمة
والسباع والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة
نسباً » فمقيل : هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنّاً
لاختلافهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة . وقيل قالوا
لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله .
وقال السكبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله
« خرقوا له بنين وبنات بغير علم » قال بعض المفسرين : هم كفار
العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن
الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما
نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه
بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم
يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء
في ذلك تولد الاعيان - التي تسمى الجواهر - وتولد الاعراض
والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد
فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا
كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلماذا احتج بذلك عليهم .

وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتام الكلام في هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و(تفسير سورة الاخلاص) وغيرهما من كتب شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه

﴿ تنزيههم المخلوق عما نسبوه للخالق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخلوق عما نسبوه للخالق مثل تنزيه احوارهم عن الولد والزوجة لأنهم يقولون ان الراغبين في استحصال الكمالات كالرهبان واضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة التمتع بالنساء اقتداء بالمسيح عليه السلام . فانظر الى سخافة العقول وما قادم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي^(١) رداً على بعض احوار النصارى بقوله :

قل للفرسئل قدوة الرهبان الجاثليق البترك الرباني
أنت الذي زعم الزواج نقيصة ممن حماه الله عن نقصان

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسيت تزويج الآله بمريم في زعم كل مثلث نصراني
ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهم
وسنّ وأذهن وقتلهم ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه
المقالات وأشباهاها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم
العقل والأهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق
﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل
فرعون . والتعطيل انكار أن يكون للعالم صانع كما قال فرعون لقومه
« ما علمتُ اسم من اله غيري » ونحو ذلك ولم يخل العالم عن مثل
هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وانباء هذا الزمان الا
النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر
لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خالقه وبارئه :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ومن أين للطبيعة ايجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها في
الآفاق والأنفس وهي عديمة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله
عما يقولون علواً كبيراً

﴿ الشراكة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشراكة في الملك كما تقوله المجوس .

والجوس أمة تعظم الانوار والنيران والماء والأرض ويقرون بنبوة
 زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية
 اصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء
 يزرون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء
 والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية اصحاب مالك الخرمي وهم شر
 طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام
 وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والنسكية
 والنورزية والحاكية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية
 فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفانون في التفضيل . فالجوس
 شيوخ هؤلاء كلهم وانتمتهم وقدوتهم وان كان الجوس قد يتقيدون
 بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم
 ولا بشريعة من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما
 حكى الله عنهم بقوله في الانعام « اولئك الذين هدى الله فبهداهم
 اقتده قل لا اسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما
 قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل
 من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فجعلونه
 قرطيس تبدوتها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدليل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكربين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجلية فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الأشياء . واختلف في قائل ذلك القول الشنيع ، فمن مجاهد أنهم مشركو قريش والجمهور على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المبالغة ، فقبل لهم على سبيل الالزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فان المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شاكلةهم ومعوج طريقهم ﴿ جحدوهم القدر واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحدو القدر والاحتجاج به على الله تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على سرها عسر إلا على من وفقه الله تعالى ، ولا ين

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام « سيقول الذين اشركو الو شاء الله ما اشركننا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرجون ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » تفسير هذه الآية « سيقول الذين اشركو » حكاية لفن آخر من أباطيلهم « لو شاء الله ما اشركننا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم كما نطق به الآيات يحسبون انهم يحسنون صنعا وانهم انما يعبدون الاصنام ليقرّبوهم الى الله زلفى وان التحريم انما كان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضى عند الله تعالى ، على أن المشيئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيكون حاصل كلامهم ان ما نرتكبه من الشرك والتحريم وغيرها تعلقت به مشيئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشيئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضى عند الله تعالى . وبعد أن حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم رد عليهم بقوله عز من قائل « كذلك كذب الذين من قبلهم » وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو نقول حاصله أن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به لسكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، ولسكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف لأنهما لاظهار المحجة وإبلاغ الحجة « حتى إذا ذاقوا بأسنا » أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيحاء إلى أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول إدراك الشيء « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الأشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهوره لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين أمم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لأنهم كانوا يهزءون بالدين ويبلغون رد دعوة الانبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، فحين طالبوهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايمان بصفات الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم منطأ العيوق. « ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » أي تكذبون على الله تعالى « قل فله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المثانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول والبيان « فلو شاء لهداكم أجمعين » بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق، وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك. ومن الناس من ذكر وجهاً آخر في توجيه ما في الآية، وهو ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلمون اختياريهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قولهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه انما يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة. ثم بين سبحانه انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح سبحانه أن كل واقع واقع بمشيئته، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون. والمقصود أن يتمحض وجه الرد عليهم وتمخلص عقيدة نفوذ السنة وعموم تغلفها

بكل كائن عن الرد وينصرف الرد إلى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم وإن أقامتهم الحجة بذلك خاصة وإذا تدبرت الآية وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية وبذلك تقوم الحجة البالغة لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم ردّ دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا وأراد منا وأنتم نخالفون إرادته حيث تدعونا إلى الإيمان ، فونحنهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه « فله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي إذا كان الأمر كما زعمتم « فله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو شاء » يدل منه على سبيل البيان أي لو شاء لدل كلاً منكم ومن مخالفكم على دينه فلو كان الأمر كما تزعمون لكان الإسلام أيضاً بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الإسلام كما وجب بزعمكم أن لا تمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعاداة بل موافقة وموالاته . وحاصله أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عندكم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى فيلزم تصحيح الأديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين » الكلام على هذه الآية كالـ كلام على الآية السابقة ولا تراهم يتشبثون بالمشيئة الا عند انحلال الحجة ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتهم في سورة الانعام في الآية السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً أشهدوا خلقهم ستم كتب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون . أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » ويكفي في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فله الحجة البالغة » والمراد بما حرموه السوائب والنجاسات وغيرها ، وفي تخصيص الاشتراك والتحريم بالنفي لانها أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة رأساً فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئاً ونحل ما أحله ولا نحرم شيئاً مما حرمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهة تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وتحليل ما أحله وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك فعل الذين من قبلهم » من الأثم أي أشركوا بالله تعالى وحرموا من دونه ما حرموا وجادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق « فهل على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفةهم الا البلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجأؤهم الى ذلك وتمفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفةهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الالفعال لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فمجمود القدر والاحتجاج به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية والمقصود انه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردّ عليها الله سبحانه ورسوله ﷺ

﴿ مسبة الدهر ﴾

﴿ السادسة والثلاثون ﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والختم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحيي » أي نموت طائفة ونحيي طائفة ولا حشر أصلاً . ومنهم من قال أن كثير آمن عبّاد الأصنام كان يقول بالتماسخ ، وعليه فالمراد بالحياة إعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واسنادهم الإهلاك الى الدهر انكار منهم لملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً اليه لجهلهم انها مقدره من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر ^(١) وهؤلاء معترفون

(١) مثل قول قائلهم :

كر الغداة ومر العشي

اشاب الصغير وافنى الكبير

ومثل قول الآخر :

وطلوعها من حيث لا تسمي

منع البقاء تغلب الشمس

وقول الآخر :

فؤادي في غشاء من نبال

رماني الدهر بالارزاء حتى

تكسرت النصال على النصال

وكنت اذا اصابني سهام

واشعر في ذلك قديماً وحديثاً كثير

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى
 الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »
 والسكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير . وقد جاء النهي عن سب
 الدهر أخرج مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي
 رواية لأبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول :
 يا خيبة الدهر ، فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقبل ليله
 ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبيدي
 فلم يقرضني وشتمني عبيدي وهو لا يدري يقول وادعراه وأنا الدهر »
 وروى البيهقي « لا تسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الأيام
 والليالي أجدها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن
 الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع
 السب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم
 بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر
 علم مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ما هم إلا قوم
 قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن
 يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق
 بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله
 تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض
 جهل وقائله جاهل في أي عصر كان . ولأهل زماننا حظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل : والله المستعان

﴿ إضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : إضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرائيل تقيمكم الحرّ ومرايل تقيمكم بأسمكم ، كذلك يُتم نعمته عليكم لعلكم تُسألون . فان تولوا فإنا عليكم البلاغ المبين . يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقوله « يعرفون نعمه الله » الخ استئناف لبيان أن تولى المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمه الله سبحانه وتعالى أصلا فانهم يعرفونها أنها من الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث لم يفردوا منعها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلا ، وذلك كفران منزل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قولهم : ورثناها من آبائنا . وأخرج هو وغيره أيضا عن عون ابن عبد الله أنه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل : لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها اضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قولهم هي بشفاعة آلهتهم عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

عليه السلام أي يعرفون انه عليه الصلاة والسلام نبي بالمعجزات ثم ينكرون ذلك ويجحدونه عناداً « وأكثروا الكافرون » أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر . والتعبير بالأكثر إما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان عقله وعدم اهتدائه اليه ، أو لعدم نظره في الأدلة نظراً يؤدي الى المطلوب ، أو لانه لم تقم عليه الحجة لكونه لم يصل الى حد المكلفين لصغره ونحوه ، وإما لأنه يقام مقام الكل فاستناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشرّكين على الإطلاق من باب استناد حال البعض الى الكل

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى في سورة الواقعة « أفبهذا الحديث أنتم مدهنون . وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » أي تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . روى مسلم وغيره عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر . قالوا : هذه رحمة وضعها الله . وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية « فلا أقسم بمواقع النجوم » حتى بلغ « وتعملون رزقكم أنكم تكذبون » الى غير ذلك من الآثار . والمقصود أن استناد النعم الى غير مُنعمها الحقيقي كفران لها . وقد ذكرنا مذهب العرب في الانواء في غير هذا الموضع وفصلناه تفصيلاً ، وذكرنا شعرهم الدال على مذهبيهم هذا . والله الموفق

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكهف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين خسرتهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين. أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور « الذين كفروا بآيات ربهم » بدلائله سبحانه الداعية الى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقاءه » هو كناية عن البعث والحشر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه « فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً » أي فنزدرى بهم ونحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنها وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشتراء كتب الباطل واختيارها عليها ، أي على الآيات . قال تعالى « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - إلى قوله - ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا أن اشتراء ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشتراه » أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب « ولبئسما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيئاً شروا به حظوظ أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء ولو أنهم آمنوا أي بالرسول أو بما أنزل إليه من الآيات أو بالتوراة « واتقوا » أي المعاصي التي حكيت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون « أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وان هم الايظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون » وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم بابقاء صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها

﴿القدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿الأربعون﴾ : القدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال الجاهلية القدح في حكمته تعالى وأنه ليس بحكيم في خلقه بمعنى أنه سبحانه يخلق مالا حكمة له فيه ، ويأمر وينهى بمالا حكمة فيه ، وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين « أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » وفي سورة الانبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدننا إن كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وان الساعة لا تية فاصفح الصفح الجميل » الى غير ذلك من الآيات
الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على
خلاف ما يعتقده أهل الباطل من الجاهليين ومن انحأ نحوهم من هذه
الامة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ، وهذه مسألة طويلة
الذيل قد كثر فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كان عليه
السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أطنب الكلام عليها
الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، وعقد باباً مفصلاً في طرق اثبات حكمة الرب
تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة
التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قال في هذا الباب : انه سبحانه
وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة كقوله
« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أيجسبُ الانسان أن يترك
سدى » وقوله « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لالعين
ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات الحمودة التي
لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله
باسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر
ويطاع . ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع . ومنها أن يدبر
الأمر ويهرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازى المحسن باحسانه والمسيء باسائه
 فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكره .
 ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه . ومنها أن يصدق
 الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيبينه . ومنها ظهور آثار أسمائه
 وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي فيعلم
 عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع . ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه
 وحده ربها وقاطرها ومليكها وانه وحده آلهها ومعبودها . ومنها
 ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير
 ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً . ومنها أن يظهر أثر حكمته
 في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ومجيئه على
 على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة .
 ومنها انه سبحانه يحب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد
 من لوازم ذلك خلقاً وشرعاً . ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح
 ويمجد ويسبح ويعظم . ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته
 وآلهيته . الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق . فخلق مخلوقاته
 بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق
 فمصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أتى على عبادته
 المؤمنین حيث نزوه عن ايجاد الخلق لا شيء ولا لغاية فقال
 تعالى « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لَا يَأْتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى
 جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ
 هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ » وَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا ظَنُّ أَعْدَائِهِ لَا ظَنُّ أَوْلِيَائِهِ
 فَقَالَ « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا » . وَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ عَرَفَهُ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ الْحِكْمَةَ
 مَطْلُوبَةً لَهُ وَلَا أَمْرَ الْحِكْمَةِ وَلَا نَهْيَ الْحِكْمَةِ وَأَنَّمَا يَصْدُرُ الْخَلْقُ
 وَالْأَمْرُ عَنِ مَشِئَةِ وَقُدْرَةِ مُحَضَّةٍ لَا الْحِكْمَةَ وَلَا لُغَايَةَ مَقْصُودَةٍ وَهَلْ
 هَذَا الْإِنْكَارُ لِحَقِيقَةِ حَمْدِهِ بَلْ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ أَمَّا قَامَ بِالْحُكْمِ وَالْغَايَاتِ
 فَهُمَا مَظْهَرَانِ لِحَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ فَانْكَارُ الْحِكْمَةِ انْكَارُ لِحَقِيقَةِ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ
 فَإِنَّ الَّذِي أَثْبَتَهُ الْمُنْكَرُونَ مِنْ ذَلِكَ يَنْزِعُهُ عَنْهُ الرَّبُّ وَيَتَعَالَى عَنْ
 نَسْبَتِهِ إِلَيْهِ فَانْكَارُ حَقِيقَةِ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ لَا رَحْمَةَ فِيهِ وَلَا مَصْلَحَةَ وَلَا
 حِكْمَةَ ، بَلْ يَجُوزُ عَنْهُمْ أَوْ يَقَعُ أَنْ يَأْمُرَ بِمَا لَا مَصْلَحَةَ لَهُ يَكْلَفُ فِيهِ
 الْبُتَّةُ وَيُنْهَى عَمَّا فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَاجْتَمَعَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ وَيَجُوزُ عَنْهُمْ
 أَنْ يَأْمُرَ بِكُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ وَيُنْهَى عَنْ جَمِيعِ مَا أَمَرَ بِهِ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ
 هَذَا وَهَذَا إِلَّا بِمَجْرَدِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ . وَيَجُوزُ عَنْهُمْ أَنْ يَعْذِبَ مَنْ لَمْ
 يَعْصِهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ وَيُثِيبَ مَنْ عَصَاهُ بَلْ أَفْنَى عَمْرِهِ فِي الْكُفْرِ بِهِ
 وَالشُّرْكَ وَالظُّلْمَ وَالْفُجُورَ فَلَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْهُ

الابنخير الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه
بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتزويه عن الظلم والجور بل هذا هو
عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجيب ان كثيراً من
أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات
الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا
ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن
التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على
عرشه وعلوه فوق سماواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا
يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله
ولي التوفيق . انتهى المقصود من نقله وتمام الكلام في هذا
الباب من ذلك الكتاب واليه سبحانه المآب

﴿ الكفر بالملائكة والرسول والتفريق بينهم ﴾

﴿ الحادية والاربعون ﴾ : الكفر بالملائكة والرسول والتفريق
بينهم . قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وحقيننا من بعده
بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فإذا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين - إلى أن قال - قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليكم آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات أن بعض الكتابيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسول ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير

﴿ الغلو في الانبياء والرسول ﴾

﴿ الثانية والاربعون ﴾ : الغلو في الانبياء والرسول عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتبهوا خيراً لكم انما الله له واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدال بغير علم ﴾

﴿ الثالثة والاربعون ﴾ : الجدال بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجليل يجادلون أهل العلم عند نهيمهم عما أفوه من البدع والضلالات . وهى صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون» أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقلت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المنادية على جهلهم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿ الكلام في الدين بلا علم ﴾

قال الشيخ (الرابعة والاربعون) : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجمل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحقها بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى أن ظهر فيهم الخزاعي^(١) فغير وبدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبحر البحيرة وحى الحام واستقسم بالازلام الى غير ذلك ، فاضلنا في غير هذا الموضع وان شئت أن تعرف جبل العرب

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجازيون يتخذونه رباً في امتثال امره وطاعته والاتباع عما ينهى عنه

وما ابتدعوه فاقراً سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالتهم
ومبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان
أخبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلوا وحرّموا ما
اشتبهت أنفسهم فقبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه مع أن الدين انما
يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورسله عليهم السلام ولا
يكون بأراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على
مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً
يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أول نصوص الكتاب
والسنة على حسب شهواته وبمقتضى هواه فهو أيضاً من قبيل
الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم
كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها مستند من
دلائل الشريعة . فالى الله المشتكى من صولة الباطل وخمول الحق

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿ التّكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾

﴿ السابعة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى « لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا انقروا ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » . والخلة المودة والصداقة ومعنى ولا شفاعة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضى وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر الإشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه من الوجوه لأن من في ذمته حق مثلاً إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجئ الى من يشفع له في حفظه والكل منتف . ولا مستعان إلا بالله عز وجل

﴿ الخطأ في فهم معنى الشفاعة ﴾

﴿ الثامنة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى في سورة الزخرف « ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » . قوله ولا يملك الذين تدعون أي ولا يملك

آلهم الذين يدعونهم من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت ترى الناس اليوم عما كفينا على أصنام لهم يدعونهم من دون الله وعذرهم عند توبيخهم ان هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة والأربعون ﴾ : قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالتسبط من الناس قال تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقال في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » الى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لاقاه الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق ^(١) وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك ان الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم الى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تنهد له الصياصي وتشيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته المقدسة تقدمه الله برحمته . ورضوانه

الظغاة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي
هؤلاء أ كابر الأمة المحمدية وعلمائها الأعلام قد صادفوا
عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس
وتشيب منه لثم المداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم
المؤمنون وان كانوا يبتلون في أول الأمر فالعاقبة لهم كما قال تعالى
لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين »
وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان
المشركون حينئذ أعداء لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب
بينكم وبينه ؟ قالوا : الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة
وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة
فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم
لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل
ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن
بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من
يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بنحصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم مكن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيداً قال تعالى « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فأثابهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيد في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه قال تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يزرقون » ولهذا قال تعالى « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم ان الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت لا بد منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم فلا كانوا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المتبوحين وقيل فهم « كم تركوا من جنات وعيون وزرع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثنا ما قوتهم » آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ماضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولا تباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فان تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة للدائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقرار والتتابع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد اعلاء كبرته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وإن يجعل لهم السعادة ولمن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقيماً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من دلائل نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما قل تعالى « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فلما جاء وعد اولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوزا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا» فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته . وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من اعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين ينتصرون على أهل الكتاب أحياناً فان أولئك لا يقولوا^(١) مطاعهم الى نبي ولا يقتاتون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون باننا انما نصرنا عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت . فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

(١) لعله لا يكون

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمه على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لا يتم أمره وانما يتم أمر الصادق فان من أهل الكتاب من يقول محمد وأمه سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعا اليه من الدين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة وديننا دعا اليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفه بشقاوة الدنيا والآخرة ثم نصره الله وأظهره وأنم دينه وأعلى كلمته وجعل له العاقبة وأذل مخالفه فان هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها

وقد يفرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه . ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الألوهية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الألوهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فإن تأييد الكذاب ونصره و اظهار دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكمته تناقض أن يفعل ذلك اذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فأخبر أن سنة الله التي لا تبدل لها نصر المؤمنين على الكافرين والايان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله . فاذا نقص الايمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قال في المنافقين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نفاق « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فإذا نصر من ادعى النبوة واتبعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فإن ذلك دليل على أنه نبي صادق إذ كانت سنة الله وعاداته نصر المؤمنين بالأنباء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أ كفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال

أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله « وقال تعالى « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه « وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه « وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين « ومن كان كذلك كان الله يمتقه ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال ان الله يعلى للظالم فاذا أخذه لم يفلته « ثم قرأ « وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد « وقال أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعاها مرة واحدة . فالكاذب الفاجر وان عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنسي ومسيامة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم . وأما الأنبياء فانهم يبتلون كثيراً لمحصوا بالبلاء فان الله تعالى انما يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر أمره شيئاً فشيئاً كالزرع قال

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيباهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزره (أي قواه) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ». ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياءه وأوليائه الصادقين وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقال تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقال تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لتدكان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « والمقصود أن ايذاء القائمين بالحق والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك والله المستعان

﴿ الايمان بالجبوت والطاغوت ﴾

﴿ الخمسون ﴾ : الايمان بالجبوت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين قال تعالى في سورة النساء « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبوت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » هذه الآية نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذلك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويتقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنتم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا
يؤمن هذا ان يكون مكرراً منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد
لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قل كعب يا أهل مكة ليجي
منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزم أ كبادنا بالكعبة فنعاهد رب
البيت لنجهدين على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم
فاينا أهدي طريقاً وأقرب الى الحق ، نحن أم محمد ؟ قل كعب
اعرضوا على دينكم فقل أبو سفيان نحن ننحز للحجيج السكوءاء
ونستقيم اللبن ونقري الضيف ونفك الغاني ونصل الرحم ونعمر
بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آباءه
وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم
والله أهدي سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله في ذلك الآية والجبث
في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت
يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ومعنى الايمان بهما إما
التصديق بأنهما آلهة واشرا كهما بالعبادة مع الله تعالى . وإما
طاعتهم وموافقتهم على ما هما عليه من الباطل . وأما القدر المشترك
بين المعنيين كالتعظيم مثلاً والتمبادر المعنى الاول أي انهم يصدقون
بالوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الآله الحق

ويسجدون لها .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

﴿ الحادية والخمسون ﴾ : لبس الحق بالباطل وكتمانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . ثانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق . ثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته ﷺ وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ﴾

﴿ الثانية والخمسون ﴾ : التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم « قال الحسن والسعدي : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرى عرين وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلمت ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

﴿اتخاذ النبيين أرباباً﴾

﴿الثالثة والخمسون﴾ : تسميتهم اتباع الاسلام شركاء قال تعالى « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسنده حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله ان يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلام عن مواضعه ﴾

﴿ الرابعة والخمسون ﴾ : تحريف الكلم عن مواضعه ولي الألسنة بالكتاب . قال تعالى في سورة آل عمران « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وألحقوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن الحرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فذهب جمع إلى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وإن تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة وتأويلا باطلا للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن التوراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق مرامهم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتبهم واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك لاحتمال علمه بمقاء بعض ما يفي بغرضه سالماً عن التغيير . إما لجهلهم بوجه دلالة أو لصرف الله تعالى إياهم عن تغييره وتمام الكلام في تفسير الجدة عند الكلام على هذه الآية وكذا في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام . وكثير من الأمة المحمدية سلكوا مسلك الكتائبين في التحريف والتأويل واتباع شهوراتهم وقل تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا» والكلام على هذه الآية أيضاً مستوفى في التفسير

﴿تلقب أهل الهدى بألقاب غريبة﴾

﴿الخامسة والخسون﴾ : تلقب أهل الهدى بالصابئة والحشوية فقد كان أهل الجاهلية يلتقبون من خرج عن دينهم بالصابي كما كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيراً للناس عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عليها أهل المقالات بما لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور كذا قال بعضهم وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطاً وكانوا يجلسون في حلقة أمامه ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها . وخصوص السلفيين يرمونهم بهذا الاسم تنفيراً للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم حيث يقولون في المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وقد أخطأت أستم الحفرة فالسلف

لا يقولون بورود ما لا معنى له لافي الكتاب ولا في السنة بل يقولون في الاستواء مثلاً: الاستواء غير مجبول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر وقد أطال الكلام في هذه المسئلة شيخ الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه ونلخص ذلك في كتابه جواب أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق بين مذهب السلف ومذهب الحشوية، أن مذهب الحشوية ورود ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مطلقاً فلاستواء مثلاً عندهم له معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات اللغوية إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل وكيف يكون مذهب السلف هو مذهب الحشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو من أكابر السلف سقوط قول الحشوية ولم يرض ان يقعد قائله تجاهه . والمقصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث . قال أبو محمد عبد الله بن قتيبة في تأويل مختلف الاحاديث ان أصحاب البدع سموا أهل الحديث بالحشوية والناطقة والمتجبرة والجبرية وسموهم الغناء وهذه كلها انباز لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في التدرية أنهم مجوس هذه الامة فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنازتهم . وفي الرافضة يكون قوم في آخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوهم فانهم
مشركون . وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على
لسان سبعين نبياً المرجئة والتدرية . وفي الخوارج يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة
انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمى أهل الحديث خشوية لقولهم
بالاخبار وتعلقهم بالأثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم بحسمة
ومشبهة وقالوا هم المتسترون بالبلكفة ^(١) وقد وضع لدي وضوحاً
بيننا أن استطالهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم
رواية ودراية وخطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال
العلامة ابن القيم في كافيته الشافية : فصل في تلقيبهم أهل السنة
بالخشوية ويقال من أرى بالوصف المذموم من هذا اللقب من
الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :
ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
خشوية يعنون خشواً في الوجود وفضلة في أمة الانسان
ويظن جاهلهم بانهم خشوا رب العباد بداخل الاكوان

(١) من كلمة (بلا كيب)

إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحمير بأن «في» للظرف وال
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبهتوا أهل الحديث به فما
 بل قولهم ان السموات العلى
 حقاً كخردلة ترى في كف م
 أتروونه المحصور بعد أم السما
 كم ذا مشبهة وذا حشوية
 تدرون من سمعت شيوخكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
 سمى به عمرو لعبد الله ذا
 فورتم عمرواً كما ورثوا لعبد
 تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله بوزان
 من قد حشى الأوراق والأذهان من
 بدع تخالف مقتضى القرآن
 هذا هو الحشوى لا أهل الحديث أئمة الاسلام والایمان
 وردوا عذاب مناهل السنن التي
 ليست زبالة هذه الأذهان
 ووردتم القلو ط مجرى كل ذي ال
 أوساخ والأقذار والأنتان
 وكسبتم ان تصعدوا للورد من
 أثر الشرايع خيبة الكسلان
 وحاصل هذه الايات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضدادا

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الحشوية، فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعبا بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل الكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين والله المستعان على ما تصفون

﴿التكذيب بالحق﴾

﴿السادسة والخمسون﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق . وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب المخالفين للدين المبين كاليهود والنصارى، يدعون أن ما هم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتمسك به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لاتباع أسلافهم لا ينظرون الى الدليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وَأَنَّ اللَّهَ أَمْرُهُمْ وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ مَقْتَرَى لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ
وَكُلٌّ يَدْعِي وَصْلًا لِلَّيْلِ وَلَيْلَى لَا تَقْرُءُ لَهُمْ بِنْدَاكَ

﴿الافتراء على المؤمنين﴾

﴿السابعة والخمسون﴾ : روى المؤمنين بطلب العلو في الارض
قال تعالى في سورة يونس « قَالُوا أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ »
هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألقمهم الحجر
فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا
عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بنذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج . على أنه
استئناف وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قال موسى ، كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام حين قال لهم
ما قال ؟ فتميل قالوا عاجزين عن الحاجة « أَجِئْتَنَا لْتَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ » أي الملك كما روى
عن مجاهد وعن الزجاج أنه إنما سمي الملك كبرياء لأنه أكبر
ما يطلب من أمر الدنيا ؛ فكل من دعا الى الحق رماه من كان على
المسلك الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الرياسة والجاه من غير

ان ينظروا الى مادعا اليه وما قام عليه من البراهين

﴿ رمى المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بالفساد في الارض. شاهد هذه المسألة آيات كثيرة ، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين مفسدون في الارض . انظر الى قولهم في أوائل سورة البقرة كيف ادعوا أنهم هم مصلحون . وقد ردّ الله عليهم بقوله « ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم وتمكنت بدعهم من قلوبهم :

ومن يك ذا فمٍ مريضٍ يحدُّ مرّاً به الماء الزلزالاً
نسأله تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على
الصراط المستقيم

﴿ رمى المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بتبديل الدين . قال تعالى في سورة مؤمن « اني أخاف أن يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرّفهم عما هم عليه

من الغي [فقد اراد] اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض .
وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر .

﴿ اتهم أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى السيف
والشكوى الى الملوك و [دعوى] احتقار السلطان و [تحويل]
الرعية عن دينه . قال تعالى في سورة الاعراف « أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه
وتحريضهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتهيينه . وما ذكر
في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الحادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال
تعالى في سورة ق « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج » فقله
بل كذبوا بالحق الخ اضرب اتبع الاضراب الأول للدلالة على
أنهم جاءوا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي
هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب وذلك بسبب فيهم النبوة عن البشر

بالسكية تارة وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاه والمال كما ينبيء عنهم قولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» تارة أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حالهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى وقال تعالى في سورة الذاريات «والسماء ذات الحُبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون» الحُبك جمع حبيكة كطريقة أو حبال كُشال ومثل والمراد بها اما الطرق المحسوسة التي تسير فيها السكواكب أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعلمه وحكمته اذا تأملها الناظر وقوله «انكم لفي قول مختلف» أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون انه جل شأنه خلق السموات والأرض وتقولون بصحة عبادة الاصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون تارة انه مجنون وأخرى انه ساحر ولا يكون الساحر إلا عاقلا وفي أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلا وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايمان به
وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا
الايمان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول
المتخلف « الذين هم في غمرة ساهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم
ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقال تعالى في أواخر
سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في
شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » هذه الآية
استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين اثر بيان حال المشركين
بناء على ما روى عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود
والنصارى أي بددوا دينهم وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة
منهم « وكانوا شيعا » أي فرقا تشيع كل فرقة اماما وتتبعه أي تقويه
وتظهر أمره . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وافترقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وستفترق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة
من فرق كل من أهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم . « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن
تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم . « انما أمرهم الى الله
تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم أولاهم وأخراهم
ويدبره حسبما تقتضيه الحكمة . ومن الناس من قال المفرقون أهل
البدع من هذي الأمة . فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير
والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » إلخ هم أهل البدع والاهواء
من هذه الامة فيكون الكلام حينئذ استثناءً لبيان حال المبتدعين
اثر بيان حال المشركين ، إشارة الى أنهم ليسوا منهم ببعيد
والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد
فرقوا دينهم وتغايروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم
لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها . ومنهم من كان
يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم ومنهم . وكذلك
الكتابيون على ما بينا . فلا اقتراق ناشئ عن الجهل وإلا فالشرعية
الحقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن
يوحد الحق ويعدد الباطل قال تعالى « الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيف ، فتفرقة الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقّة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى

﴿دعواهم العمل بالحق الذي عندهم﴾

﴿الثانية والستون﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصداقاً لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها ، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ، وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام ، وندموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة وتام الكلام في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم

عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود إبطال ما كان عليه الحنس من الوقوف بجمع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحنس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناها : ثم أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدكم بترك الطيبات من الرزق﴾

﴿الخامسة والستون﴾ : تعبدكم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . وسبب النزول على ما روي عن ابن عباس انه كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سقلمها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحجر من الذباب وهي تقول :
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم » الخ واكلوا واشربوا مما طاب لكم ، قال الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أى من المستلذات وقيل المحللات من المأكول والمشرب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركهم فيها فبالاتباع خالصة يوم القيامة لا يشاركون فيها غيرهم

﴿ تعبدكم بالمسكء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدكم بالمسكء والتصدية . قال تعالى في سورة الانفال « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان صلاتهم عند البيت » أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صغيراً وتصدية أي تصفيقاً وهو ضرب اليد باليد بحيث يسمع له صوت . والمراد بالصلاة اما الدعاء أو افعال أخر كانوا يفعلونها ويسمونها صلاة

وحمل المكاء والتصدية عليها بتأويل ذلك بأنها لا فائدة فيها ولا معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللاعب . وقد يقال المراد أنهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة التي تليق ان تقع عند البيت . يروى أنهم كانوا اذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنهم يصلون أيضاً ويروى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وبقي الآية معلوم . والمتصود أن مثل هذه الافعال لا تكون عبادة بل من شعائر الجاهلية . فما يفعله اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد من المكاء والتصدية يزعمون أنهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقال الله صفق لي وغنّ وقل كفراً وسمّ الكفر ذكراً
وقد جعل الشارع صوت الملاهي صوت الشيطان ، قال تعالى
« واستغفر من استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخيلك
ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا »

﴿ النفاق في العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعاؤهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعاؤهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التاسعة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المكر الكبار ﴾

﴿ السبعون ﴾ المكر الكبار . كفعل قوم نوح قال تعالى في سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكرًا كَبَارًا وقلوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وُدًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً - ومعنى الكبار الكبير والمكر الكبار احتياله في الدين وصددهم للناس عنه واغرائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام . وهكذا فعل أخلاف هؤلاء من مردة الدين واتباع

الهوى وعبدوا الدنيا يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه قد تشابهت قلوبهم . نسأله تعالى أن يعيد رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة ويصونهم من مكرهم وقد جرّبتهم فرأيت منهم خبائث بالمهمين نستجير

﴿ حالة علمائهم ﴾

الحادية والسبعون : أمّتهم اما عالم فاجر واما عابد جاهل قال تعالى « أفطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وانهم الا يظنوا فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » فذكر في الآية ان فريقاً من أسلاف اليهود وهم الأخبار كانوا يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلاً فاسداً حسب أغراضهم بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعتة صلى الله تعالى عليه وسلم

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فغيروه باسم طويل
 وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم
 فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعوي الكاذبة والمراد
 بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتام الكلام في هذا المقام يطلب
 من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على
 الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أخبار السوء
 اليوم والرهبان الذين يقولون على الله مالا يعلم قد تجاوزوا الحد
 في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه
 الاسلام والامر لله

﴿ زعمهم أنهم هم أولياء الله ﴾

﴿ الثانية والسبعون ﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس
 دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين
 هادوا » أي تهودوا أي صاروا يهوداً « ان زعمتم أنكم أولياء الله »
 أي أحباء له سبحانه ، ولم يضاف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه
 « الا أن ولياء الله » ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها
 « من دون الناس » أي متجاوزين عن الناس « فتمنوا الموت » أي فتمنوا
 من الله تعالى ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة

«ان كنتم صادقين» في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الانكار والا كدار. وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكذبهم فانهم كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، كما أخبر تعالى عن السكتائين في كتابه فقال جل شأنه «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر: ان اتبعتم محمداً أطعناه وان خالفتموه خالفناه. فقالوا نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزيز ابن الله والأنباء ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه. فنزلت «قل يا أيها الذين هادوا» الآية «ولا يتمنوه أبدا» اخبار بحلهم المستقبل وهو عدم تمنيه الموت وذلك خاص بأولئك المخاطبين وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد مثكم إلا غص بريقه فلم يتمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فعلموا أنهم لو تمنوا لما اتوا من
ساعتهم ولحقهم الوعيد. وهذه إحدى المعجزات « بما قدمت أيديهم »
أي بسببه كأنه قيل اتقى تمنيتهم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته
أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من
بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبّر بها تارة عن النفس
وأخرى عن القدرة « والله عليم بالظالمين » أي بهم وإشار الاظهار
على الاضرار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون
ويندرون من الأمور التي من حملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل أي
والله عليم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون
منهم فيجازيهم على ذلك « قل ان الموت الذي تفرون منه » ولا
تجسرون على ان تمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم « فانه
ملاقيكم » البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه « ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة » الذي لا تخفى عليه خافية « فينبئكم بما كنتم
تعملون » من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها وهذا ديدن الزائعين
وشأن الملحدين كما قال تعالى عن اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق ». وقد ورث هذه
الخصلة كثير من ينتمى الى الملة الاسلامية بل كل من الفرق
من يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقة الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي .

﴿ دعوى محبة الله مع ترك شرعه ﴾

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف ^(١) وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالقتم ملة أبيكم ابراهيم واسماعيل ولقد كانا على الاسلام . فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله الخ » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

(١) الشنف القرط الاعلى أو معلق في قوف الاذن أو ما علق في اعلاها واما ما علق في اسفلها فقرط . جمعه شنوف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت
 عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان
 يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير
 قال : نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح
 نعبده حباً لله وتعظيمه له فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم .
 وبالجملة ان من تلبس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما
 أحسن قول القائل :

تعمى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
 لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنىهم على الله الاماني الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنىهم على الله تعالى الاماني
 الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أوتوا
 نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
 فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً
 معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن
 اسحاق وجماعة عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ بيت
 المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمر و الحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
 ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لهما رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فهما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأينا
 عليه فانزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
 بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحاكوا الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
 فجيء بالتوراة فوضع جرهم بن صوريا يده على آية الرجم فقال
 عبد الله بن سلام جاوزها يا رسول الله فآطرها فرجما فغضبت
 اليهود فترلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما
 معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
 هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهو نوا به الخطوب ولم يبالوا
 معه بارتكاب المعاصي والذنوب . والمراد بالايام المعدودات أيام
 عبادتهم العجل « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرهم
 افتراؤهم وكذبهم أو الذي كانوا يفترونه من قولهم : لن تمسنا النار
 أو من قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو مما يشمل ذلك ونحوه
 من قولهم : ان آباءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعده يعقوب
 ان لا يعذب أبناءه الا تحلة القسم فرد عليهم بقوله سبحانه « فكيف

إذا جمعناهم الخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علو الحسب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحينهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتابيين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ لمسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأيناها بأرض الحبشة
يقال لها مارية وذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح
أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور
أولئك شرار الخلق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج » رواه أهل السنن الأربعة فهذا التحذير منه
واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل
الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على الحذر
عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم ان يكون من
هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة
من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا
الامرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة وليس هذا موضع
استقصاء ما في ذلك من سائر الاحاديث والآثار ولهذا كان
السلف يبالغون في المنع

﴿ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ﴾

﴿ السادسة والسبعون ﴾ : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فورثهم الجاهلون من هذه الامة قترأهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة لجره الى الغلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالمقام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكأثر الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي لما وضعه على الصخرة فأثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أما كن زعموا ان اخضر رؤي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعى الاسلام ان يتجنبها وينهي عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لا بأس بذكره قال شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة
 مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى
 الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف
 الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما
 نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه
 المشاهد ويذهب اليها ترى ذلك ؟ قال أما على حديث ابن أم مكتوم
 أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ
 ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد
 إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك
 نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد
 التي بالمدينة وغيرها يذهب اليها فقال أما على حديث ابن أم
 مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصلي في
 بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع
 سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه رؤي يصب في موضع

ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يصب هنا ماء قال أما على هذا فلا بأس قال ورخص فيه ، ثم قال
ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر
الحسين وما يفعل الناس عنده رواها الخلال في كتاب الادب فقد
فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء
والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كواضع بالمدينة بين القليل
الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا
التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة. فانه قد روى البخاري
في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالماً بن عبد الله يتحرى
أما كن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه
رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما
رخص الامام احمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في
سننه قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الاعمش عن المعمر بن
سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر
بألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يلاف قریش في الثانية
فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا
فقالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال
هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض
فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبين
ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم
ويتخذونها كنائس وبيعاً . وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر
ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي يبيع تحتها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها يخاف عمر الفتنة عليهم
وما ذكره عمر هو الحرى بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة
غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور . دليل حرمة
ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث
الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد
في ترب أمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولا سيما في ليالي رمضان
والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذها أعياداً اعلم ان العيد اسم لما
يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يعود
الاسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائداً

كيوم الفطر ويوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مسلمو أهل العراق لسكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الاسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الايام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الاعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله ان ينجر المشركين الذين يعبدون غير الله وينبجون له أي أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام وينبجون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً تعظيماً له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الاولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالاله الحق المعبود العلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع . وصح نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن استأذنه بالذبح بيوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أكان فيها صنم ؟ قال : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين ؟ قال : لا . قال له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود في سننه . وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازه . ولو علم شيئاً مما سئل عنه لمنعه صيانة لمحي التوحيد وقطعاً لذريعة الشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال : ما كنت أقرب شيئاً لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » ففي هذا الحديث من الفوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وان كان مسلماً وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق
فان الحق أبلج والباطل جليج . فبالنظر التام الى ما كان عليه
المشركون من تقربهم لأوثانهم لتقريبهم الى الله لكونهم شفعاء
لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء
الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

﴿المانون﴾ : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار
من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعت مكرمة
قريش فقال ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت
عروق ضلالها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلو بها
على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين ولا بدع من حكيم
ابن حزام القريشي الأسدي اذا ما رد على من قال له : بعت
مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم : ذهبت المكارم
إلا التقوى كيف لا وقد كان عاقلاً سرياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً
أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام
ومعه مائة بدنة قد جلاها بالخبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف
بمائة وصيف بعرفة في أغناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء
الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في الكعبة

﴿ الحادية والثمانون ﴾ : الفخر بالاحساب

﴿ الثانية والثمانون ﴾ : الاستسقاء بالانواء

﴿ الثالثة والثمانون ﴾ : الطعن في الانساب

﴿ الرابعة والثمانون ﴾ : النياحة . أقول : هذه المسائل الاربع

دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ
لمسلم بسنده الى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر
في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية
أوقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال
من قطران ودرع من جرب « الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر
الآباء . والطعن في الانساب ادخلهم العيب في أنساب الناس
تحتيراً لا بآئهم وتفضيلاً لا بآء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء
بالنجوم اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر
وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء
كذا وقال تعالى « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا
مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله في النائحة :
وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران
لانها كانت تلبس الثياب السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنهما تغطية الدرع وهو القميص لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الأمة تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نعمات فتراهم يفتخرون بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي الشيخ الفلاني وهذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك . وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من العترة الطاهرة وذاك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتقد كثير من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء . وهكذا النوح على الأموات فقد اتخذهم كثير من الناس من أفضل الأعمال وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لا سيما من اتخذ المسآتم الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله السنة الأقلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك فانهم يوردونه موارد العطب والمهالك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعيير الرجل بفعل غيره لا سيما

أبوه وأمه يخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بامه ؟
 انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في
 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا
 بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك
 جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء » . وهذا الباب في كتاب الايمان من
 صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل
 عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه
 حلة فسألته عن ذلك فقال : اني سابيت رجلا فعيرته بامه فقال لي
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بامه ؟ انك امرؤ
 فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن
 كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
 تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » وقد أطنب شراح
 الحديث في شرحه وليس هذا موضع استقصائه . والمقصود منه
 أن تعيير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة .
 فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من
 المعرفة تساب هو وبلال الحبشي المؤذن فقال له : يا ابن السوداء
 فلما شكى بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له
 « شتمت بلالا وعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال حسبت أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال :
لا أرفع خدي حتى يطاء بلال خدي بقدمه . والناس اليوم والأمر
لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم
بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

﴿ الافتخار بولاية البيت ﴾

﴿ السادسة والثمانون ﴾ : الافتخار بولاية البيت . فذمهم الله
تعالى بقوله : « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية
في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً
تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي
تتلى عليكم لتعليل لقوله قبل « لا تجأروا اليوم انكم منا لا
تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعكم منا ولا ينفعكم عندنا
فقد ارتكبتم أمراً عظيماً وإثمًا كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا
يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون
عن سماعها أشد الاعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها .
والنكوص : الرجوع . والأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر الرجل
ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقه الأول كما يقال :
رجع عوده على بدئه « مستكبرين به » أي بالبيت الحرام ، والباء

للسببية وسوغ بهذا الاضرار مع أنه لم يجز ذكر اشتهار استكبارهم
 وافتخارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسمر ونبت
 القرآن والطعن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمر
 وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً « وتهجرون »
 من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والترك والجملة في موضع الحال
 أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
 تقدير عود ضمير به له وجاء الهجر بمعنى الهذيان وجوز أن يكون
 المعنى عليه أي تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم أو أصحابه أو ما يعم جميع ذلك ويجوز أن يكون من الهجر
 بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله :
 « أفلم يدبروا القول » ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز انه الحق
 من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل
 جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب
 الرياسة على المواضع المقدسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى
 الشرف بسبب ذلك . فمنهم من ادعى الشرف على المسلمين
 بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في
 المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انتسابهم الى
 عبد القادر الجيلي في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبايح والقرايين
الشركية التي يتعبد بها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد
ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلماً
فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه
وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده الصالحين
أحق من الذر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء
عليهم السلام . فردّ الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه
الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك
أمة قد خلت » الإشارة الى إبراهيم عليه السلام وأولاده في قوله
« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أتت لمعان
والمراد بها هنا الجماعة من أم بمعنى قصد وسميت كل جماعة بجمعهم
أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم
يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . والخلو : المضي ، وأصله الانفراد لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب
 انتفاعكم بأعمالهم وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلى الله
 تعالى عليه وسلم : « يا معشر قريش إن أولى الناس بالنبي المتقون ،
 فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقي الناس يحملون الأعمال
 وتلقوني بالدنيا فأصد عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله
 تعالى : « يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
 شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
 ومعنى قوله « ولا تسألون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسيئاتهم
 كما لا تثابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير
 من المسلمين ورأس مالمه الافتخار بالأباء : فمنهم من يقول : أنا
 من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد
 الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكري ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم
 من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى
 وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله
 بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة
 « يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا » وما قصد أولئك
 المفتخرين بأبائهم وهم عارون عن كل فضيلة إلا أكل أموال
 الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصاميا ولا تكن عظاميا)
 أن الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبي

ولله درّ من قال يردّ على المفتخر بمثل ذلك :

أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن السكّاب يقنع بالعظام

وقال آخر :

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما نخار الذي ينبغي الفخار بنفسه

❖ الافتخار بالصنائع ❖

❖ الثامنة والثمانون ❖ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك في سورة الايلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة أخرى فان كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى عبادة الله وطاعته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ليتوصل بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأماما سوى ذلك فكله ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

﴿التاسعة والثمانون﴾ : عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أى من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف . قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وكل منهما كان عظيما ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيرة يسمى ربحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل على أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للنبوّة وذلك انهم أنكروا أولا أن يكون النبي بشرا ثم لما بكتوا بتكثير الحجج ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكموا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعي عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتخلي بالكلمات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فأنكر سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تجهيل وتعجيب من تحكهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ، ولم نفوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادئ المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسباً تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وغنى وفقير وخدام ومخدوم وحاكم ومحكوم . «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مرافقهم لا الكمال في الموسع عليه ولا النقص في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويضة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف الثمالم بهذه الحالة فماظهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى «نحن قسمنا» الخ مايزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانتقطاع إليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقا وبالحق نزل «ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الذي الفاني . وأنت تعلم ان كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لا يعتبرون العلم اذا كان صاحبه فقير الحال وينظرون الى الغني ويعتبرون أقواله ، والله درّ من قال (١) :

رُبَّ علم أضاعه عدم المسا ل وجهل غطى عليه النعيم

﴿ازدراء الفقراء﴾

﴿التسعون﴾ : ازدراء الفقراء فانزل سبحانه قوله «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . والمشهور (رب حلم)

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلمهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملاء من قریش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضيت هؤلاء من قومك أهؤلاء من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن تتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن « وأنذر به الذين » الى قوله سبحانه « فتكون من الظالمين » . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حوله حقروهم فأتوه فقلوا به فقالوا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً
 نعرف لنا العرب به فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن
 ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبد فإذا نحن جئناك فاقمهم عنا فإذا نحن
 فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتاباً
 فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل
 جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين الخ » ثم دعانا فأتيناه وهو
 يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فبكنا نقعد معه
 فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى « واصبر نفسك
 مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
 عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
 ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا
 فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قننا وتركناه حتى يقوم . وأخرج ابن
 المنذر وغيره عن عكرمة قال مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة
 ابن عبد عمرو بن نوفل والحرث بن عامر بن نوفل ومطعم بن
 عدي في أشراف الكفار من عبد مناف إلى أبي طالب فقالوا :
 لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبد والخلفاء كان أعظم له في
 صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه فذكر
 ذلك أبو طالب للنبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب لو فعلت يا رسول
 الله حتى ننظر ما يريدون بقولهم وما يصيرون إليه من أمرهم فأنزل

الله سبحانه « وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه « أليس الله
 بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالم مولى
 حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والخلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو
 وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو ومرثد بن أبي
 مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالى والخلفاء
 « وكذلك فتننا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته
 فانزل الله تعالى « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله
 « ماعليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه
 تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرده المتقين من
 أقويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا « ما نراك
 اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » والمعنى ماعليك شيء مما
 من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى
 تتصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك
 حساباً هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء
 الأحكام على موجبها ، وتفويض البواطن وحسابها الى اللطيف
 الخبير ، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالغداة والعشي . وروى عن
 ابن زيد ان المعنى ماعليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم
 والمراد لا يضررك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أراه
 المشركون منك فيهم وقوله « وما من حسابك عليهم من شيء » عطف

على ما قبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال الزمخشري ان الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدّي مؤدّى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وحينئذ لا بد من الجملتين وتعقب بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهي

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب الحديث والعقائد والايات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلي في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقليل قليل بدر	من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقليل قليل بدر	من القينات والشرب الكرام
تحيينا السلامة أم بكر	فهل لى بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بأن سمنحيا	وكيف حياة اصداء وهام

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأ أم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى « وقالوا أإذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » وقد تكلمنا
على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع
﴿ إيمانهم بالجبت والطاغوت ﴾

﴿ الثانية والتسعون ﴾ : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل
دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى « ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيهاً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » وقد تقدم الكلام
على ذلك مفصلاً . والمقصود هنا أن جهلة الكتائين كانوا
يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما
عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج
يقولون إن دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من
أهل التوحيد وحفاظ السنة

﴿ كتمان الحق مع العلم به ﴾

﴿ الثالثة والتسعون ﴾ : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أحبار بني اسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتبوا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكورها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فانه كتاب لم يؤلف مثله

﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿الرابعة والتسعون﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأولوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجزى الله شيخ الاسلام خيراً فقد ردّ عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهله وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿الخامسة والتسعون﴾ : التناقض الواضح قال تعالى «بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب» وهكذا أهل البدع من المغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالاً تناقض ما هم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة﴾ : العيافة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أو ابداهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا



وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الاسلام . والحمد لله ولي الانعام . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في ٥ ذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ

فهرس

﴿مسائل الجاهلية﴾

الصفحة المسألة

اهداء الكتاب	٣
مقدمة الناشر	٤
خطبة الكتاب	٩
دعاء الصالحين	١ ١١
التفرق	٢ ١١
مخالفة ولي الأمر	٣ ١٢
التقليد	٤ ١٣
الاقتداء بالعالم الفاسق أو العالم الجاهل	٥ ١٤
الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل	٦ ١٥
الاحتجاج على الحق بقلة أهله	٧ ١٦
الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً	٨ ١٧
انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم	٩ ١٨
انخداع أهل الثروة بثروتهم	١٠ ٢١

الصفحة	المسألة
٢٣	١١ الاستخفاف بالحق لضعف أهله
٢٤	١٢ وصم أنصار الحق بما ليس فيهم
٢٥	١٣ التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء
٢٦	١٤ استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً
٢٦	١٥ جهلهم بالجامع والفارق
٢٩	١٦ الغلو في الصالحين
٣٠	١٧ الاعتذار بعدم الفهم
٣٢	١٨ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم
٣٣	١٩ التمسك بخرافات السحر
٣٤	٢٠ التناقض في الانتساب
٣٤	٢١ صرف النصوص عن مدلولاتها
٣٤	٢٢ تحريف كتب الدين
٣٥	٢٣ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها
٣٥	٢٤ كفرهم بما مع غيرهم من الحق
٣٦	٢٥ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها
٣٧	٢٦ انكار ما أقرؤا أنه من دينهم
٣٨	٢٧ المجاهرة بكشف العورات
٤٠	٢٨ التعبد بتحريم الحلال

الصفة	المسألة	
الإلحاد في أسماء الله وصفاته	٢٩	٤٣
نسبة النقائص الى الله	٣٠	٤٦
تنزيههم المخلوق عما نسبوه الى الخالق	٣١	٥٠
قولهم بالتعطيل	٣٢	٥١
الشركة في الملك	٣٣	٥١
انكار النبوات	٣٤	٥٢
جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله	٣٥	٥٣
مسبة الدهر	٣٦	٦٠
اضافة نعم الله الى غيره	٣٧	٦٢
الكفر بآيات الله	٣٨	٦٤
اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله	٣٩	٦٥
القدح في حكمة الله	٤٠	٦٦
الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم	٤١	٧٠
الغلو في الأنبياء والرسل	٤٢	٧٢
الجدال بغير علم	٤٣	٧٢
الكلام في الدين بلا علم	٤٤	٧٣
الكفر باليوم الآخر	٤٥	٧٥
التكذيب بآية مالك يوم الدين	٤٦	٧٥

الصفحة	المسألة
٧٦	٤٧ التكنذيب بآية لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة
٧٦	٤٨ الخلطاً في فهم معنى الشفاعاة
٧٧	٤٩ قتل أولياء الله
٨٨	٥٠ الايمان بالجبت والطاغوت (وانظر ص ١٤٢)
٩٠	٥١ لبس الحق بالباطل
٩٠	٥٢ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه
٩١	٥٣ اتخاذ النبيين أرباباً
٩٢	٥٤ تحريف الحكم عن مواضعه
٩٤	٥٥ تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة
٩٨	٥٦ التكنذيب بالحق
٩٩	٥٧ الافتراء على المؤمنين
١٠٠	٥٨ رمي المؤمنين بالفساد في الأرض
١٠٠	٥٩ رمي المؤمنين بتبديل الدين
١٠١	٦٠ اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض
١٠١	٦١ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق
١٠٥	٦٢ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم
١٠٦	٦٣ الزيادة في العبادة
١٠٦	٦٤ النقص من العبادة

الصفحة	المسألة
١٠٧	٦٥ تعبدهم بترك الطيبات من الرزق
١٠٨	٦٦ تعبدهم بالمكاء والتصدية
١١٠	٦٧ النفاق في العقيدة
١١٠	٦٨ دعاؤهم الى الضلال بغير علم
١١٠	٦٩ دعاؤهم الى الكفر مع العلم
١١٠	٧٠ المكر الكبار
١١١	٧١ حالة علمائهم
١١٢	٧٢ زعمهم أنهم هم أولياء الله
١١٥	٧٣ دعوى محبة الله مع ترك شرعه
١١٦	٧٤ تمنيههم على الله الأمانى الكاذبة
١١٨	٧٥ اتخاذ قبور الصالحين مساجد
١٢٠	٧٦ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد
١٢٣	٧٧ اتخاذ السرج على القبور
١٢٣	٧٨ اتخاذ القبور أعياداً
١٢٤	٧٩ الذبح عند القبور
١٢٦	٨٠ التبرك بآثار المعظمين
١٢٧	٨١ الفخر بالأحساب
١٢٧	٨٢ الاستسقاء بالأنواء

الصفحة	المسألة
١٢٧	٨٣ الطعن في الالساب
١٢٧	٨٤ النياحة
١٢٨	٨٥ تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه
١٣٠	٨٦ الافتخار بولاية البيت
١٣٢	٨٧ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء
١٣٤	٨٨ الافتخار بالصنائع
١٣٥	٨٩ عظمة الدنيا في قلوبهم
١٣٧	٩٠ ازدراء الفقراء
١٤١	٩١ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث
١٤٢	٩٢ ايمانهم بالجبت والطاغوت (وانظر ص ٨٨)
١٤٢	٩٣ كتمان الحق مع العلم به
١٤٣	٩٤ القول على الله بلا علم
١٤٣	٩٥ التناقض
١٤٤	٩٦ العيافة
١٤٤	٩٧ الطرق
١٤٤	٩٨ الطيرة
١٤٤	٩٩ الكهانة
١٤٤	١٠٠ التحاكم الى الطاغوت

الحديقة

مجموعة أدب بارع ، وحكمة بليغة ، وتهذيب قومي

تأليف

محب الدين الخطيب

منشي مجاتي (الزهراء) و (النبع)

ثمانية أجزاء — ٢٣٠٠ صفحة

لطيفة الحجم ، جميلة الطبع

نمها ٤٠ قرشاً

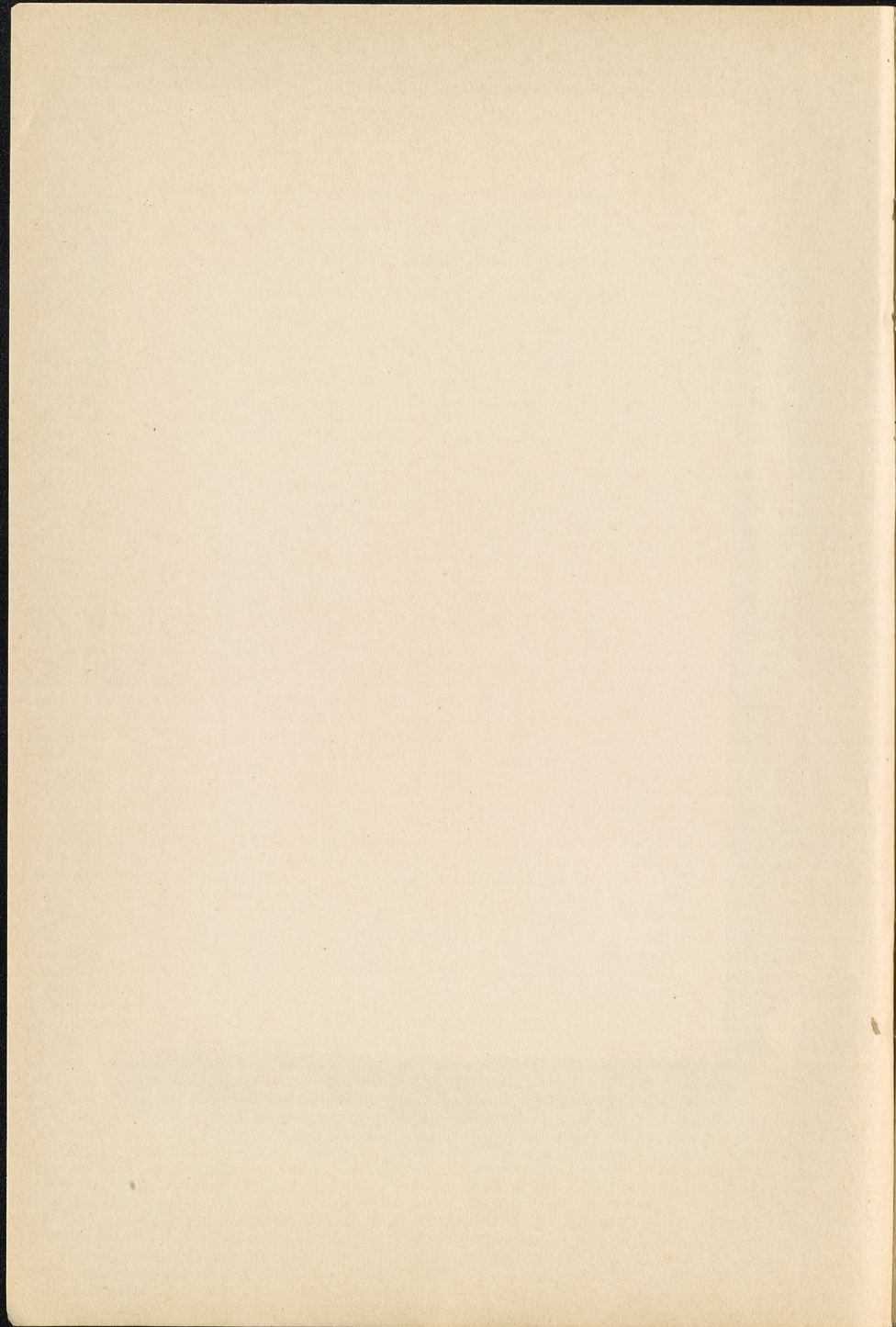
تطلب من

المطبعة الاستغنية - فمكينها

بشارع الاستئناف - بالقاهرة

خزانة الأدب

أتمت المطبعة السلفية طبع الجزء الاول من هذا الكتاب
المعظم ، فجاء في ٤٣٥ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً
بجروف جميلة . واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنقيطي
الكبير المنقولة من خط المؤلف ، وحليناه بتصحيحات العلامة
الجليل صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وتصحيحات
وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الاسلامية في الهند
فجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الايام
قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة قروش مقدماً
وعند تسليم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه



This book is due two weeks from the last date stamped below, and if not returned at or before that time a fine of five cents a day will be incurred.

[illegible]

coch

893.7M895

T



لسان العرب

أعظم معجم جمع شتات اللغة العربية بشواهدها

شرعنا في طبعه بحروف جميلة وعلى ورق صقيل

وبعناية لم يسبق لها نظير

مشفوعاً بتصحيحات وملاحظات واستدراكات كبار رجال اللغة والأدب

في الشرق والغرب

ومنهم صاحب السعادة العلامة الكبير أحمد تيمور باشا

والاستاذ العلامة المحقق عبد العزيز الميمني الراجكوتي

والمستشرق الشهير مستر كرنكو، وعلامة الجزائر السيد محمد أبو شنب

وقيمة الاشتراك في كل جزء ٤٠٠ صفحة : عشرة قروش